حفظ الله تعالى

القرآن الكريم

من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(تلاوة القرآن المجيد)

من الصفحة ٢١ حتى الصفحة ٣٤

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

حفظ الله تعالى لهذا القرآن العظيم
من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان أبد الآبدين

وأما حفظ الله تعالى لهذا القرآن الكريم من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان فإنه ثابت قطعاً بنص قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

فأخبر سبحانه في هذه الآية عن أمرين عظيمين:

الأول: أنه سبحانه هو الذي نزَّل هذا الذكر ـ أي: القرآن الكريم ـ لا غيره، يعني أَنَّ هذا القرآن هو من عند الله تعالى قطعاً لا من عند غير الله تعالى، لأن غير الله تعالى لا يقدر على الإتيان به، ولا يستطيع أَنْ يأتي بمثله: لا نصاً ولا إعجازاً، ولا إحكاماً لآياته، ولا أحكاماً لشريعته، ولا إخباراً عن المغيبات، ولا إحاطة ببعض تلك العلوم والمعارف التي جاء بها في كتابه.

الثاني: أنه سبحانه الذي أنزل هذا القرآن هو تكفل أن يحفظه من التلاعب، والزيادة والنقصان، فكما يجب الإيمان قطعاً بأن هذا القرآن أنزله الله تعالى، يجب الإيمان قطعاً بأنَّ الله هو حافظ لهذا القرآن قطعاً ـ وهذا من خصائص القرآن الكريم، فإنه سبحانه لم يتكفل بحفظ أيِّ كتاب أنزله على رسله السابقين، فلم يتكفل بحفظ التوراة والإنجيل ولا الزبور وغيرها؛ بل وَكَل حفظها للربانيين والأحبار، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۖ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ ـ أي:

يحكمون بذلك ـ ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ الآية.

فلقد استحفظهم الله تعالى إياها؛ فما اسْطَاعوا أن يحفظوها من الزيادة والنقصان والتحريف، أما هذا القرآن العظيم فقد تولَّى الله حفظه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ فلم ينله تبديل ولا تحريف، ولا زيادة ولا نقص، ولن يناله ذلك أبداً؛ لأن الله تعالى الحفيظ العليم هو بنفسه تولَّى حفظه، وشَتان بين حفظ الخالق وحفظ المخلوق.

ومن ثَمَّ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

ومن هذه الآيات التي ذكرناها يتضح للعاقل جلياً أن هذا القرآن الكريم هو مَصُونٌ عن عبث العابثين، وتلاعب المتلاعبين، محفوظ من النقص والزيادة والتبديل والتغيير ـ وهذا أمر يجب الإيمان به جزماً، والاعتقاد به قطعاً، وذلك لأمور متعددة:

١ ـ لو جرى على هذا القرآن تبديل أو تغيير، أو زيادة أو نقص: لما صحّ الخبر في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ولَمَا صَدَقَ الله تعالى وعدَه بالحفظ لهذا القرآن العظيم، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإن الله تعالى لا يُخلف وعدَه، وإنَّ خبره صادق محتم الوقوع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ فإنه سبحانه لا يكذب خبره، ولا يتخلَّف وعده، ولا تُنقض كفالته.

فإن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ كفالةً من الله تعالى موثَّقة، وخبراً مؤكَّداً، ووعداً مُحتَّماً، يعرف ذلك من تدبَّر.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

٢ ـ أنه لو جرى على هذا القرآن الكريم تبديل أو زيادة أو نقص: لكان ذلك منافياً ومعارضاً لقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فإن الله تعالى أخبر أن الباطل لا يأتي هذا القرآن، ولا يتسرب إليه: لا في نصوصِهِ ولا في معانيه، فهو لا يُعارَضُ ولا يناقضُ، ولا يُزاد فيه ولا يُنْقَص منه، لأن الزيادة فيه باطلة ليست منه، والنقص منه هو إبطال لما هو منه حقاً دالاً على حق، فقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ دليلُ صيانتِه وحفظِه من التلاعب والزيادة والنقص ـ وهذا الخبر القرآني لا يتخلف ولا يتبدل، فإن الباطل لا يمكن أن يتسرب إلى هذا القرآن الكريم قطعاً، لا في نصوص كلماته بزيادة أو نقص، ولا في معانيه بتكذيب أو نقض.

٣ ـ لو جرى على هذا القرآن الكريم تحريف أو زيادة أو نقص: لكان ذلك منافياً ومخالفاً لقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ الآية، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ فأكبر شاهدٍ: شهادته أكبر شهادةٍ لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **هو الله العلي الكبير**، الذي أعلن شهادته بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآيات التكوينية السماوية والأرضية، والشجرية والمائية، والطعام والشراب ـ وغير ذلك، وهي المعجزات التي أجراها الله تعالى على يديه صلى الله عليه وآله

وسلم شهادةٌ له بأنه رسول الله تعالى صلى الله عليه وآله وسلم، ومن الآيات السماوية انشقاقُ القمرِ وإمطارُ السُّحُب ونحوُ ذلك.

كما أنه سبحانه أعلم عباده بشهادته أَنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آياته التدوينية القرآنية، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ فهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ أي: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾: أيها الناس ـ أي: الذين بَلَّغْتُكم وشافهتكم، ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ أي: وأنذر به كلَّ من بلغه هذا القرآن الكريم إلى يوم القيامة.

فقد أمره الله تعالى أن يُنذر به أول هذه الأمة ووسطها وآخرها على حد سواء، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن بلَغه القرآنُ فكأنما شافَهْتُه به» ثم قرأ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ رواه ابن مَرْدُوْيَه، وأبو نعيم، والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروىٰ ابن أبي شيبة، وابن المنذر وغيرهما، نحو ذلك عن محمد بن كعب القُرَظي، كما في: (تفسير) ابن كثير، والقرطبي، والآلوسي.

فقد جعل الله تعالى القرآن الكريم حجةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جميع العباد، وبلاغاً عنه لكافة العباد إلى يوم المعاد، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الرسالة العامة للثَّقَلَيْنِ إلى يوم القيامة، ولذلك اقتضت الحكمة الإلٰهية أن يبقى كتابُه الذي أنزله الله تعالى عليه ـ يبقى محفوظاً إلى يوم الدين،

لتقوم الحجة على العباد، وليهتدوا به إلى سبيل الرشاد، ويبلِّغه آخر هذه الأمة كما بلغه صلى الله عليه وآله وسلم لأولها.

فلو جاز أَنْ يجري عليه تحريف أو زيادة أو نقص لما تحقق إنذاره صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن لمن يأتي مِنْ بعده؛ كما أنذر الذين في عصره، في حين أَنَّ الآية تُخبر بإنذاره صلى الله عليه وآله وسلم لمن في عصره ومَنْ بعده على حَدٍّ سواء.

٤ ـ لو جَرىٰ على هذا القرآن الكريم تحريف أو زيادة أو نقص: لأدى ذلك إلى ذهاب الثقة به، ولأدى ذلك إلى عدم الإيمان الجازم بما جاء به، وكيف لا يُوثق به ولا يقطع جزماً بما جاء به، مع أَنَّ الله تعالى بيَّن لعباده أن هذا الكتاب الذي هو بجميع آياته موثوق به، ومقطوع بحقيقته، لا يتطرق الباطل ولا الخلل إلى جانب من جوانبه، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فإن فحوى هذه الآية ونصها يناديان العباد ويخبرانهم: أَنَّ الثقة كل الثقة، واليقين كل اليقين، والحق كل الحق: في هذا الكتاب العزيز، الذي لا يجد الباطل والوهم، والكذب والافتراء، والتلاعب وما شابه ذلك ـ لا يجد ذلك إلى الكتاب سبيلاً أصلاً.

فلو جرى عليه تحريف أو زيادة أو نقص لذهبت الثقة واليقين به:

أما ذهاب الثقة بالمزيد فالأمر بيِّنٌ، وأما ذهاب الثقة بالمزيد عليه فإن العاقل يقول: لعل في هذا الأصل زيادةً أيضاً، فما يُدرينا أنها كلَّها أصل؟!

وأما ذهاب الثقة به حالة النقص: فذلك لأن بين الأصل المنقوص عنه والشيء الناقص منه ارتباطاً في المعاني والأحكام

والأخبار وغير ذلك، ولو جرى عليه النقص لأدى ذلك إلى عدم الثقة بالناقص والمنقوص منه، فلا يكون أحد من المسلمين على ثقة بدينه، لاحتمال نسخ بعض الصلواتِ أو تغيير أوقاتها أو الزيادة عليها، أو نسخ الزكاة أو مقاديرها، أو نسخ الصيام أو الزيادة فيه، أو بتبديله بغيره، أو نسخ الحج، أو تحليل الخمر والميسر ونحوهما من المحرمات، أو تحريم بعض أنواع من الحلال، وبذلك لا يكون أحد من الناس على عبادة إلا وهو على شك منها، ولا يُقدِمُ على حلال ولا يُحجم عن حرام إلا وهو متشكِّكٌ، فأين الإيمان والجزم بشرع الله تعالى! نعوذ بالله تعالى ـ وحينئذ لا يمكن الإيمان الجازم به والحالة هذه، وحينئذ لا بد من نبي يبعثه الله تعالى يُبَيِّن للناس ما نقص منه أو ما زِيدَ فيه، ولا نبيَّ بعد نبي الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

فهو سبحانه يَعلم بعلمه القديم الذي لا أول له أَنَّ خَتْمَ النبوات لا يليق به إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل: «وأنا خاتَمُ النبيين ولا نبي بعدي» صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك نرى أن الكتب السماوية السابقة، لما كانت في معرِض التحريف، والزيادة والنقص: اقتضت حكمة الله تعالى أن يُتابع ويوالي بين بعثة الأنبياء، بحيث ما يذهب نبي إلا يبعث الله تعالى نبياً آخر، وربما اجتمع في زمان واحد عدة من الأنبياء، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ وذلك لأجل أن يُبَيِّنُوا للناس ما نُزِّل إليهم من ربهم، ويبعدوهم عن الشك في دينهم، بحيث يكونون على يقين في كتابهم وشريعتهم، وبذلك تقوم حجةُ الله تعالى على العباد: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾.

وأما الكتاب الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله تعالى فهو باقٍ إلى يوم القيامة، محفوظٌ مصونٌ عن التغيير والتحريف، والزيادة والنقص.

فرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم باقية.

فهاهنا أمران عظيمان متلازمان لا ينفكان عن بعضهما:

الأول: عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلم إلى جميع الثقلين إلى يوم الدين.

الثاني: حفظ الله تعالى كتابه النازل عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وإبقاؤه مصوناً عن التلاعب فيه إلى يوم الدين.

فالطعن في أحد هذين الأمرين هو طعن في الأمر الآخر، لأنهما مرتبطان ببعضهما، وكما أن عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلم ثابتٌ بالنصوص القطعية نحو:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

فكذلك أيضاً حِفْظُ كتابه النازل عليه صلى الله عليه وآله وسلم ثابت بالأدلة القطعية المفحمة للعقول كما تقدم.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ فقد بين سبحانه في هذه الآية أنَّ وظيفة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبدِ الله ورسوله أَنْ يُنذر العالمين إلى يوم الدين، دون أن يقتصر على أهل زمانه فحسب، ولا بد لهذا الخبر أن يتحقق وقوعه، لأنه من الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ فكيف كان ذلك؟ هل تحقق أم لا؟

نعم كان ذلك حقاً، كما بيَّن الله تعالى في قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ أي: وأُنذر كل من بلغه هذا القرآن إلى يوم الدين، لأن هذا القرآن باقٍ كما هُوَ إلى يوم الدين بحفظ رب العالمين.

٥ ـ لقد ذكر الله تعالى بالمدح والتعظيم التوراة، ثم ذكر الإنجيل، ثم ذكر هذا القرآن الكريم، وبيَّن منزلته من بين الكتب الإلهية، ورفعة رتبته على جميع الكتب، وأنه المهيمن على الكتب السماوية التي نزلت قبله:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ الآية، ثم قال تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ﴾ الآية، ثم قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾.

فقد أخبر سبحانه عن رتبة هذا الكتاب العزيز بالنسبة لجميع

الكتب قبله بأنه مصدِّقٌ لما جاءت به من عند الله تعالى، وأنَّه المهيمن على جميع الكتب قبله.

قال الإمام البخاري رحمه الله في: (صحيحه): باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المهيمن: الأمين، والقرآن أمين على كُلِّ كتاب قبله. اهـ.

فهذا القرآن الكريم هو الأمين الحكم على كل كتاب قبله: يُحِقُّ ما فيها من حق، ويُبْطل ما حُرِّف منها وأُدخِل عليها من باطل.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المهيمن هو الشاهد.

وفي رواية عنه فسَّر المهيمن هنا بمعنى الحاكم ـ وكلها متقاربة ومتلازمة، فهذا القرآن الكريم هو: الأمين على الكتب قبله، والشاهد، والحاكم.

فإذا كان أمر القرآن وموقفه مع الكتب قبله هو أنه الأمين عليها، والحاكم على ما فيها، فلا يمكن أَنْ يجري عليه تحريف في كلمة، أو زيادة أو نقص، لأنه حينئذ يحتاج إلى أمين عليه وحَكَم آخر يحكم فيه ـ هذا من وجه.

ومن وجه آخر: فإذا جاز على هذا القرآن تحريف كلمة وزيادة أو نقصان فيه؛ فإن الله تعالى يكون قد نَصَب على كتبه السماوية السابقة أميناً غير مضمون، وحَكَماً غير مأمون ـ تعالى الله الحكيم العليم عن ذلك علواً كبيراً.

بل إن في جعل الله تعالى هذا القرآن الكريم أميناً وحَكَماً على الكتب قبله؛ شهادةً منه سبحانه بضمانة وأمانة هذا القرآن، وحفظه

من التلاعب فيه والزيادة والنقص، ولذلك حُقَّ له أن يكون مُهيمناً على الكتب السماوية قبله، حاكماً عليها وشاهداً وأميناً، يُحق ما فيها من حق، ويُبطل ما حُرِّف منها وزيد فيها من باطل.

٦ ـ إن هذا القرآن الكريم قد خصه الله تعالى من بين سائر الكتب الإلٰهية بالإعجاز، فجميع الكتب الإلٰهية هي كتب دعوة العباد إلى الله تعالى، وبيان ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وأما هذا القرآن فهو كتاب دعوةٍ إلى الله تعالى وبيانٍ، وكتاب إعجازٍ وَبُرهانٍ، فهو كتاب دعوة وحجة معاً لا ينفكان: دعوةٍ إلى الله تعالى، وبيان ما فيه سعادة الدنيا والدين، وحجةٍ بإعجازه وبرهانه المبين ـ فدعوته وبيانه قائمان على الإعجاز والبرهان؛ لا ينفك عن الدعوة والبيان.

ولذلك كانت حجة القرآن الكريم ومعجزته هي أكبر المعجزات، وأقوى الحجج ـ هي أكبر المعجزات التي شهد الله تعالى بها بصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أكبر معجزة أيده الله تعالى بها، وأبقاها حجة على العالمين كلِّهم إلى يوم الدين، كما جاء في: (صحيح) البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من الأنبياء نبيٌ إلا أُعطيَ من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة».

قال المحققون من العلماء: المراد من هذا الحديث: أَنَّ معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم قد انقرضت بانقراض

أعصارهم، فلم يُشاهدها إلا من حضرها، وأما معجزة القرآن فهي باقية مستمرة إلى يوم القيامة، وخَرْقه للعادة في أسلوبه وبلاغته؛ وفي إخباره بالمغيبات مستمر، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويَظْهَرُ فيه شيء مما أخبر به القرآن الكريم أنه سيكون.

فخرقه للعادة بتلك الوجوه المتعددة يدل على صحة دعواه، وصِدْق الذي أُنزِلَ عليه صلوات الله وسلامه عليه، وأنه حقاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كما أَنَّ المعجزات الماضية كانت حِسيَّةً تُشاهَد بالأبصار: كناقة صالح، وعصا موسى، وإحياء الموتى على يد عيسى عليهم الصلاة والسلام، وأما معجزة القرآن الكريم فإنها تُشاهد بالبَصر والبصيرة، فيكون من يَتبعه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر، لأن الذي يُشاهَد بعين الرأس ينقرض بانقراض مُشاهِدِه، وأَما الذي يُشاهَد بعين البصيرة ونور العقل فهو باقٍ؛ يُشاهده من جاء بعده إلى يوم الدين، فإنه كلام معجز لا يقدر أحد أن يأتيَ بمثله، ولا بسورة مثله، يَشهد بذلك كل ذي عقل وَرَوِيَّة.

وبناءً على ذلك فلا يمكن أن يُزاد فيه أو أن يُنقص، لأنَّ المزيد فيه ليس بمعجز، والناقص منه يُخِلُّ بإعجاز الباقي بتركيبه وأسلوبه ومناسبته، وبذلك يَخرج عن كونه معجزاً، وهذا مستحيل، لأن صفة الإعجاز لا تفارقه، لأن الإعجاز هو جعل الله تعالى إياه معجزاً، فكما أنه تعالى جعل القرآن عربياً قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ولا يمكن تجريده عن العربية، كذلك جَعل القرآن معجزاً؛ فلا يمكن تجريده عن صفة الإعجاز، فلا يُتصور القرآن بحال من الأحوال غير معجز، كما لا يتصور

بحال من الأحوال غير عربي ـ وليس هذا الجعل تخليقياً بل هو جعل التقدير، كما نبه عليه المحققون، فإن القرآن غير مخلوق أَصْلاً ولا وصفاً.

على أَنّه لو أمكن أن يجريَ على القرآن زيادة أو نقص، أو تَحريف أو تبديل: لكانت هذه المعجزة الكبرى التي أبقاها الله تعالى حجة إلى يوم الدين، مصدقةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على العباد كلهم، وبينةً على صدقه صلى الله عليه وآله وسلم ـ لكانت تلك الحجة غير موثوقة، ولا مضمونة، ولا مصونة، بل يَدخلها الدخيل، وتتسرب إليها الأباطيل والأضاليل، فأيُّ حجة وبينة له صلى الله عليه وآله وسلم باقية بعدُ حينئذ بالقرآن الكريم؟ تعالى الله عن ذلك!.

فهذه الوجوه من الأدلة كلها تُحتِّم وتُوجب القطع أَنَّ القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالى عن التحريف والتبديل والتلاعب.

٧ ـ إن القرآن الكريم هو الأصل الأصيل، والركن الركين في الشريعة المحمدية، المشتملة على القضايا الإيمانية، والأحكام العملية والقولية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وقد جاءت السنة النبوية المحمدية المشتملة على أقواله وأفعاله صلى الله عليه وآله وسلم وتقريراته بياناً للقضايا الإيمانية، والأحكام الشرعية التي جاء بها القرآن قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقد بيَّن صلى الله عليه وآله وسلم ما جاء في القرآن الكريم من العقائد الإيمانية، وبيَّن ما جاء فيه أيضاً من الأحكام: الأوامر

والمناهي، والحلال والحرام، إلى ما وراء ذلك.

فلو جاز أن يجريَ على القرآن الكريم تحريف أو تبديل، أو زيادة أو نقص؛ لأدَّى ذلك إلى وقوع الخلل والعبث في الشرع المحمدي الواجب اتباعه؛ والعمل به إلى يوم الدين، ولو جاز أن يجري على القرآن شيء من التحريف والتبديل لأدى ذلك إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال، والنقص في الأوامر والمناهي التي جاءت في القرآن الكريم، وَيَخرج حينئذ عن كونه شرعاً حكيماً موثُوقاً يجب التمسك به إلى يوم الدين، وهذا مُحال شرعاً وواقعاً وعقلاً، فإننا نرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر وأوصى بالتمسك بالكتاب والسنة إلى يوم الدين، وأمر العباد بإحلال الحلال، وتحريم الحرام فيهما؛ دون أن يُحِلُّوا أو يُحرموا من تلقاء أنفسهم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فإذا ذُهبَ بي فعليكم بكتاب الله تعالى: أحِلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه».

وروى الطبراني بإسناد جيد، عن أبي شُريح الخزاعي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أليس تَشهدون أن لا إلَه إلا الله وأني رسول الله»؟

قالوا: بلى.

قال: «إنَّ هذا القرآن طَرَفُه بيد الله وطرفه بأيدكم، فتمسَّكوا به، فإنَّكم لن تَضِلوا ولن تَهْلِكوا بعده أبداً».

وروى الطبراني بسند رواته ثقات، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقال: «أطيعوني ما كنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله: أحلوا حلاله، وحرموا حرامه».

فلو جاز أن يجري على القرآن تحريف في كلمة أو زيادة أو نقص لأدى ذلك إلى وقوع الخلل في هذه الشريعة المحمدية، التي كلف الله تعالى العباد أن يتمسكوا بها إلى يوم القيامة، فلا بد وأنَّ هذا القرآن محفوظ، وأَنَّ الشريعة المحمدية محفوظة باقية بتمامها إلى يوم الدين، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «تركتكم على مثل البيضاء ليلُها كنهارها لا يَزِيغ عنها إلا هالك» رواه ابن أبي عاصم في كتاب: (السنة) بإسناد حسن، ورواه غيره أيضاً بأسانيد متعددة.